

الأستاذة: عزيزة غليمة

طلبة ١ ماستر (لسانيات الخطاب)

محاضرات في الشكلانية الروسية التأسيس والتأصيل

المحاضرة الأولى: الشكلانيون الروس

انبثقت حركة الشكلانيون الروس من التلاعُم أو الائتلاف بين تجمعين روسيين شهيرين: حلقة موسكو اللسانية وجمعية اللغة الشعرية المعروفة بـ: جماعة الأبوياز (opojaz).

أولاً - حلقة موسكو اللغوية: تأسست سنة 1915 بجامعة موسكو، من أبرز أعضائها رومان جاكبسون الذي يعزى إليه تأسيس هذا النادي اللساني وكان برفقته مجموعة من الطلبة برعوا فيما بعد في التأسيس للمنهج الشكلاني منهم فلاديمير بروب صاحب كتاب "morphologiya khakiyat shubiyat" سنة 1928. بالإضافة إلى ميخائيل باختين، بوريس توما شيفسكي. ولقد صدر عن أعضاء هذه الحلقة ثلاثة مجموعات من المقالات، إثنان بعنوان دراسات في نظرية اللغة الشعرية والثالثة بعنوان: دراسات في نظرية اللغة الشعرية.

ثانياً - جماعة الأبوياز: وهو مختصر تسمية الجمعية باللغة الروسية، نشأت في بطرسبورغ بعد سنة من نشأة حلقة موسكو اللغوية (1915)، من أبرز أعضائها فيكتور شكلوفسكي ويوري تيريانوف، بوريس إيجنباوم، هذين الأخيرين من أبرز الشكلانيين الروس الذين أوقفا جهودهما على إقامة صرح النسق في الدراسات النقدية، وجذير بالذكر أنّ أبرز أعضاء هذه الجماعة هم مؤرخون تحولوا إلى حقل اللسانيات، متخد़ين من الشعر موضوعاً أثيرة للدراسة، وكان مدار اهتمام الشكلانيين هو البنية اللسانية للغة الشعرية.

لقد سمي الشكلانيون أنفسهم بالمورفولوجيّين، بينما أطلقوا عليهم الوصف الشكلاّني، لأنّهم عالجووا بالشكل بمجموعة من الوظائف لا مجرّد صيغة سطحية.

وكان الشكلانيون لا يرتاحون إلى اسم الشكلاّنية، وإن قبلوه على مضض لشيوعه، وقد تحفظ إيجنباوم، أحد رواد الحركة من هذه التسمية يقول: "إنّي أفضل أن أسمي المنهج بالمنهج المورفولوجي تميّزاً عن الاتجاه النفسي

أو السوسيولوجي وما شابه، حيث لا يكون الأدب نفسه هو موضوع البحث، وإنما يعكسه الأدب، كما أنه دعا
الشكلية بالمخصصين لأنّهم يدرسون خصوصية الأدب.

على أن الشكلانية الروسية التي تأسست في مرحلة الصراع الإيديولوجي سرعان ما انتهت في حدود سنة 1930،
تحت ضغط الرفض الرسمي الدكتاتوري لأفكارها وتوجهاتها، وانتهت تماماً على يد الأحداث التاريخية الفعلية،
وراحت ضحية الصراع الإيديولوجي.

المحاضرة الثانية: الأسس الجوهرية التي ارتكزت عليها الشكلانية الروسية.

بحث الشكلانيون الروس في آليات النص الأدبي وتقنياته بغية الوصول إلى الخصائص الجوهرية التي تتشكل منها مادة البناء الأدبي وتأسيس علم أدبي مستقل على غرار المنهج اللّساني، وانصب اهتمامهم على كيفية القول لا على ما يقال، أي أنه ينصب على الأشكال والبنيات بدل المحتويات، وركزوا على أطروحتين أساسيتين: الأثر الأدبي وأجزائه المكونة، والإلحاح على استقلال الأدب. لقد أشار رومان جاكوبسون إلى انسداد اللّسانيات التاريخية لأنّها انصرفت إلى البحث عن قضايا أصل اللغة ونشأتها والقرابة بين اللغات كما جسدتها النحو المقارن في القرن 19، فلم تفسح المجال للبحث في القوانين الداخلية للفن الشعري إلا مع التطور العالمي للتحليل البنوي في اللّسانيات، وهذا ما يجعلنا نتحدث عن انطلاقة جديدة لللّسانيات العامة التي لم تكن سوى مرحلة جنينية، وفسح الطريق أمام شعرية جديدة لها معالمها، بعد أن تخلصت من تبعات النزعة الرمزية المثلثة بالتصورات الذاتية والفلسفية والجمالية.

تعامل الشكلانيون الروس مع النص الأدبي والشعر خاصّة تعاملًا مع النسق المحايث واعتبروا أنّ موضوع العلم الأدبي يجب أن يكون دراسة الخصيّصات النوعية للموضوعات الأدبية التي تميّزها عن كلّ مادة أخرى، فمثّرت داخل الأدب بين الشعر والسرد والخطابة.

1- الجمالية: وهي مصطلح فلسي مشتق من الجمال الذي لقي حظه من كبار ممثلي الفكر الجمالي قبل الشكليين، وإذا كان الفلاسفة ينظرون إلى الجمال على أنه صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النفس سروراً واضحًا فإنّه لدى الشكلانيين على ارتباط وثيق بمفهوم الشكل، فدرسوا الأدب من خلال وظيفته الاستيقية (الجمالية)، وهي وظيفة مستقلة بذاتها كل الاستقلال فلا تخدم غرضاً أخلاقياً أو اجتماعياً أو تعليمياً، وإنما الغاية منها الإدهاش والتأثير، فوظيفة النص تكمن في تصعيد الإحساس والانفعال والإدراك، وهذه الأمور لها تأثيرها المباشر على القارئ الذي يستجيب بدوره لأساليب جمالية غير معتادة وغير مألوفة استطاعت أن تكسر قيود الرتابة، وكلّ هذا لا يتحقق إلا بدراسة مكثفة للأدوات الأدبية التي تجعل القارئ يتقبل النص كتجربة صاعقة، لقد

صرح شكولوفسكي أنّه يهتم بدراسة القوانين الداخلية للأدب من منطلق أنّ الفن نتاج تقني وأن العمل الأدبي صناعة، وقدّم تينيانوف إحدى التّيّمات الرئيسيّة لمعجم الشكلانيين الروس النّقدي مثل: نسق التقنيات الأسلوبيّة لدى بريك، وكذا دراسة توماشفسكي حول النّسق الصوتي المنظم لغایات شعرية فأكّد بذلك الشكلانيين أنّ التواصل بين النّص والقارئ لا يتم من خلال الصور البلاغيّة فقط بل من خلال الصور السمعيّة والنحوية، ويكون بذلك دور الأديب هو محاربة المألف والعادة، وتقسيم المادة الشعريّة في صورة حلاقة نفس من خلالها بكثافة اللّغة، وهكذا ربط الشكليون بين العامل الحسب والإدراك الذهني، وتكمّن مركبات الجمالية في النقاط الآتية:

- أ- احترام الشكل: إتقان اختيار الأدوات الفنية (الموسيقي، الانسجام، التصوير...).
- ب- التزام الموضوعية: استبعاد العواطف الشخصية وحساب القيمة التاريخية النفسيّة...
- ج- إنكار قيمة المحتوى: حيث تنكر الشكلانية المضمون وتعصب للشكل فقيمة الشعر تتحصّر في كيفية التعبير عن المضمون واقعياً كان أو اجتماعياً أو رجعي.

2- الوصفية: ركّز الشكلانيون في دراستهم للنص الأدبي على وصف العمليات الوظيفية للنظم الأدبية وتحليل عناصرها الأساسية، وقد أخذوا هذه الطريقة عن العالم اللّغوی فرناند دي سوسير الذي درس اللّغة من خلال المور الوصفي ولكنه لم يتجاوز حدود الجملة في وصفه كما تطّرّف البنيوية الصورية، واللّغة نسق مركب من أدوات التعبير، حسب سوسير فكرة استغالتها الشكلانية لتصف العمليات الوظيفية للنظم الأدبية وتحليل عناصرها الرئيسية تحليلًا دقيقاً. وهذا ما يمثل عندهم "الوصف العلمي" للنص الأدبي الذي يمكن من فهم النسق الذي يحكم النص في عمومه ضمن قوانينه الدّاخليّة. "فما يحّكم العلاقة بين العناصر اللّسانية ومستوياتها (الصوتية، الصرفية، التركيبية، المعجمية) هو ما يطلق عليه النّسق". حيث تعمل هذه المستويات بشكل متلاحم وأي اختلال في هذه العلاقة بين العناصر يفقد النّسق توازنه، وقد برهن "شلوفسكي" على أنّ هذا التمييز بين المستويات الصوتية العامة والخاصة صالح لدراسة الحكايات القصصية، كما عمق رومان جاكوبسون أثناء إقامته "براغ" الأساس الوصفي، وطبقه على الشعر التشيكوسلوفاكي.

إنّ منهجية الشكليين هي تشريحية إلى حد بعيد، لأنّهم يهتمون بوجود الظاهرة الأدبية، لأنّ تفكيرهم وجودي وليس ميثافيزيقي، فكان هدفهم هو الإحاطة بمكونات النص والتعبير نقدياً عن الظاهرة الأدبية، وذلك بشرحها وتحليلها، فالمطلقة هو منطلق علمي لا معناه الدقيق ولكن بمعنى الاهتمام بما هو حاضر موجود وعيبي.

3 - علاقة الأدب بالخارج (أدبية الأدب): رسم حاكمson مقولته الشهيرة: إنّ موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما الأدبية أي ما يجعل منه عملاً أدبياً، وهي مقوله تلتقي مع المقوله الجوهرية للعلم اللساني "دي سوسيير" إنّ موضوع الألسنية الحقيقي والوحيد إنما هو اللغة في ذاتها ولذاتها، فموضوع الأدب يجب أن يكون دراسة للخصائص النوعية للموضوعات الأدبية، كما بحث الشكلانيون في آليات النص الأدبي وتقنياته بغية بلوغ الخصائص الجوهرية التي تتشكل منها مادة البناء الأدبي وتأسيس علم أدبي مستقل على غرار المنهج اللساني غايته تحديد الأدبية.

لقد رفض إيجنباوم ربط الأدب كنظام بأي أنظمة أخرى خارجة عنه فالأدب شأنه شأن أي نظام معين للأشياء، مستقل بنفسه وهكذا أهمل الشكلانيون نظريات علم الجمال وكلّ العلوم التي كانت دعامة لقراءات السياقية كعلم النفس وعلم الاجتماع، وقد أفاد الشكليون في مجال إنكارهم لعلاقة الأدب بالخارج من الدرس الألسني الذي قدمه سوسيير حين درس اللغة كنسق مغلق (مبدأ المحايثة)، وتبقى مادة البناء الأدبي هي مرتكز الشكلانيين في دراستهم وإن كان مفهوم الشكل قريب إلى حد ما من البنية والمادة شكليّة من الخطأ خلطها بعناصر خارجة عن البناء والعلاقة المتلازمة بين المادة والشكل وضفت حدّاً لهيمنة القراءات السياقية التي كانت تسقط الخارج على الداخل، وحسب الشكلانيين أنّ الأسلوب ولid النص ينفصل عن المؤلف لحظة الإبداع، ولكن رابطة الرحم تظل حضورية حضور الإبداع والإيقاع، ويظل النظام هو أساس الدراسة والتحليل.

4 - الصورة الشعرية: تسهم الصورة في خلق إدراك متميز للشيء، لذلك فهي تسلك سبلًا ملتوية تختلف عن اللغة العاديه، فهي لغة يتتبّعها الغموض، تصبح بعد ذلك وسيلة فنية من وسائل البناء الشعري، وترتبط بمكونات الشعرية بمكونات الصوتية والإيقاعية النابعة من صميم النص ذاته، ورأى الشكلانيون أن منح لوجهات النظر

النفسية والاجتماعية صلاحية قوانين الأعمال الأدبية في المقابل تبحث الشعرية في قوانين الخطاب الأدبي عبر إجرائياتها الخاصة ومرجعها هو الخطاب الأدبي على تنوع الشعريات (النظريات الشعرية).

المحاضرة الثالثة: مفهوم البنية

قدمت اللّسانيات البنوية البنية على أكّا نسق من العلاقات الباطنية، تتصف بخاصيّتي الكلية والتحولات، ومعناه أنّ البنية لا تتألّف من عناصر خارجية مستقلّة عن الكلّ بل هي تتكون من عناصر داخلية للقوانين المميزة للنسق، والمهم في البنية هو العلاقات القائمة بين عناصر النسق والبنية تفضي إلى المقاربة المحايثة للنص الأدبي وذلك بوصفه كياناً لغويّاً مغلقاً.

الشكلاينيون طوروا نظرتهم أثناء دراسة البنية حين تعاملوا مع الظواهر الأسلوبية ثم تجاوزوها إلى التعامل مع كلية النص، واستبعد الشكلاينيون الثنائية التقليدية المكوّنة من الشكل والمضمون، وأحلوا محلّها مصطلح المادة والإجراء (الأداة، الوسيلة)، فالمادة هي الكلمات والإجراء هو كلّ السبل الخاصة بالخلق الفني، فالبنية لا تحتوى لها خارج الطريقة والمحتوى، يتم إدراكه داخل تنظيم منطقي، وشرط البنية هو التنظيم الشكلي.

البنية والنسق:

من الملاحظ أنّ كتاب دي سوسيير (محاضرات في اللّسانيات العامة) لم يضم مصطلح بنية ولكن هناك مصطلح بنية ولكن هناك مصطلح نسق الذي يطلق على العلاقة بين العناصر اللّسانية ومستوياتها، حيث تعمل بشكل متلاحم، واللّسانيات تدرس الأنماط الفرعية، كعلم الأصوات العامة، وعلم الأصوات الوظيفي، وعلم النحو، وعلم الصرف وعلم المعاجم وعلم الدلالة وكلّها تسعى إلى إبراز الخصائص الأنماط الصغرى ضمن النسق العام، ويزّر تأثير اللّسانيات واضحاً حين تلقي تطبيق فكرة النسق في المقاربات البنوية التي تتفاوت في نظرتها للنسق الأدبي وطرائق تحليله، فالنص الأدبي بوصفه نسقاً لا ينفصل عن نسقه العام، وأفضل مثال على ذلك ما قدمه فلاممير بروب الذي قرر أنّ نسق الحكاية مرتبط بالنسق السردي العام وكذلك عند الحديث عن النص الشعري لا ينبغي أن نفصله عن نسق الكتابة الشعرية بعامة.